ثقافة الصورة في الوسائل التعليمية

د. نورالدين محمود سعيد[1]

كلية الفنون والإعلام، جامعة طرابلس

خلاصة البحث:

قمنا بتقسيم هذه الورقة البحثية، إلى مقدمة وثلاثة فصول، بَيَّنا خلالها أهمية الصورة كوسيط تربوي تعليمي وثقافي، يستطيع الطالب من خلالها . شرط وجود معلم أو مدرب . أن يتمكن من الاستيعاب السريع، والتثبت من الحقائق العلمية، مع إدراك المفاهيم والمعلومات والمصطلحات بشكل أسرع، كما وأنه . وهذا الأهم . سيتثقف ويطلع ويرتاح أكثر من الناحية النفسية، للثقة المعلوماتية في الدرس عبر الصورة بكافة أنواعها ومراحلها، من الصورة الفوتوغرافية، إلى الصورة الرقمية، وكذلك اللوحة التشكيلية وتأثيراتها الفنية في الدروس، مع إعطاء أهمية لعلم العلامات والإشارات بواسطة الصورة، من خلال الحقل السيميائي (السينمائي) ولغته الأيقونية، وكذا مساعدة الطالب على التفسير والتأويل، من خلال هذا العلم، كرافد مساعد على جلاء الغموض، وإيصال المعنى وتبسيطه.

الكلمات المفتاحية للبحث: صورة . وسائط . تعليم . ثقافة . سمعية بصرية.

مقدمة:

أصبحت الصورة في عصرنا، هي الوسيط الأمثل للتواصل عموماً، وللخطاب الأيقوني[2] بشكل خاص، لأنها ومع تعدد الألسن، صارت هي اللغة العالمية المثلى للاتصال التربوي والتعليمي، وأصبح عالمنا الذي نعيشه اليوم، شبكة معقدة من الصور بمختلف أنواعها وتعدد أشكالها، وصارت كذلك هي الأكثر قدرة على إنتاج المعنى بكافة وظائفه وخصائصه و(تعدد مغازيه ورموزه) فهي ومن خلال كل هذا، صارت قادرة تماماً على أن تكون وسيطاً لغوياً (تعبيرياً) مؤثراً، قادراً على الغوص في وجدان المتلقي، ووسيط إعلامي وتعليمي وتربوي كذلك، مقنع بكافة استخداماته وفق آليات أهدافه التي يطرحها.

1. د. نورالدين محمود سعيد، أستاذ النقد والتحليل المشارك، بجامعة طرابلس، كلية الفنون والإعلام، قسم الفنون المرئية

2. المقصود بالخطاب الأيقوني هنا، هو خطاب الوسائط أو الوسائل المرئية بكافة أنواعها، والذي بدوره يخلق (لغة) مقابلة بواسطة العلامة وحدها دون تدخل أي لسان، اللهم الا إذا احتاجت الصورة أو أي وسيط آخر، إلى شرح بنص مكتوب معاضداً لها. الباحث.

ومن هنا صار من الضروري إعادة النظر في وسائط التعليم والتعلم، وكذلك في الأدوات التي تساعد على إنتاج لغة بصرية للتعليم، تسهل مهمته إلى أكبر قدر ممكن، خصوصاً لما طرأ على الصورة من تطورات تقانية تكنولوجية رقمية على وجه الدقة. وفي حدود أخرى نجد أن الصورة وعبر التاريخ الإنساني، مرت بالعديد من التطورات، كان أولها وأهمها "الصور الذهنية" التي تستخدم في الحكايات القديمة والخرافات، والتصورات الخيالية، ثم انتقلت تدريجياً مع الإنسان البدائي في مراحله المختلفة، فنقلها في كهفه من خلال رسمها على الجدران، وتعلم منها عبر ما نقله أسلافه له فيها، ونقل محتواها لأطفاله، ودربهم عليها؛ ودون أن نذهب بعيداً عنا وعن مكاننا، فإن ما دونه الإنسان الليبي في حضارته القديمة الأولى في جبال وكهوف ومغاور أكاكوس وتاسيلي الليبيتين، سنجد أن أسلافنا نقلوا حراكهم الثقافي عبر عشرين ألف عام خلت، من خلال شواهد تصويرهم لحياتهم اليومية، وحضارات وثقافات أخرى عديدة؛ لعل من أهمها ما صوره الإنسان المصري القديم عبر حضارته الفرعونية الضخمة والمدهشة، وبناءاته ومعماره في الأهرامات، وما تركه على ورق البردي، وتناقلته هذه الحضارة العظيمة عبر مخطوطاتها، وآثارها المهمة، ثم تطورت الصورة عبر الحضارات المختلفة، إلى يومنا هذا، وكانت في أغلبها ذات غايات محض روحية طقوسية دينية، لكنها ومع تطور غاياتها "**انتقلت من طور كانت فيه ذهنية إلى طور صارت فيه بصرية، بمعنى أنها بعدما كانت في خدمة غايات روحية أصبحت تحيل إلى ذاتها. إنها استحالت إلى وسيط أساسي في الثقافة المعاصرة، مما يشرع الباب على مصراعيه أمام رهانات متعددة.**"[4]

ومما سبق ذكره، فإن هذه الورقة **تهدف إلى تبيان أهمية الصورة كوسيط اتصالي تعليمي وتربوي، سهَّل الكثير من التعقيدات في العملية التعليمية، وخفف من عبئ المعلم وقصر الطريق أمام الطالب لتمكينه من الاستيعاب السريع في كافة مراحل تعليمه من الابتدائية إلى الجامعة وما بعدها.**

3

4. سارة الصاوي، سلطة الصورة في وسائل الإعلام، راجع https://eipss-eg.org

1. 1. الوسائط التعليمية، ماهيتها، وأوجه الاستفادة منها:

ثمة مجموعة من التعريفات العلمية التي تصب في ذات الغرض التوضيحي لتحديد اصطلاح الوسائط التعليمية البصرية، أو الوسائل التعليمية، بغية تحسين العملية التعليمية، يمكن أن نجملها في التعريفين الآتيين:

أ. أجهزة وأدوات ومواد يستخدمها المعلم لتحسين عملية التعليم والتعلم وتقصير مدتها، وتوضيح المعاني أو شرح الأفكار، أو تدريب التلاميذ على المهارات، أو تعويدهم على العادات، أو تنمية الاتجاهات، أو غرس القيم فيهم دون أن يعتمد المعلم أساسا على الألفاظ والرموز والأرقام.[5]

ب . **ويرى الباحث أن الوسائط التعليمية، هي مجموعة من الأجهزة المرئية الحديثة الـ "كهروالكترونية" تم تصميمها على أحدث التقنيات، خصيصاً بغرض التعليم والتدريب، ليتم الاستفادة منها في عرض الصور الثابتة والمتحركة، للبرامج التعليمية والتربوية، لتنمية قدرات الطلاب ومواهبهم، وتوجيههم من خلالها، وإفساح المجال لهم كذلك، بغية معرفة اتجاهاتهم، وطرق تفكيرهم، من خلال التدريب والتطوير.**

وكما هو معلوم، فإن اللغة اللسانية ليست هي الوسيلة الوحيدة التي تدخل في العملية التعليمية، بل ثمة وسائل أخرى عديدة منذ القدم، ولا زالت حتى الآن، لكنها استحدثت وطورتها التكنولوجيا إلى أكبر مدى ممكن من الفاعلية، حتى يتم الاستفادة منها وتوظيفها في مصلحة العملية التعليمية، لذا فإن:

أ. التواصل التربوي بين المعلم والتلميذ، أصبح يحتاج إلى ضرورات أخرى تتماشى والعصر الذي نعيش فيه، وصار لزاماً على هذه الوسائط، والتي تعتبر الصورة، أحد أهم الوسائل التي ينبغي تفعيلها في العملية التعليمية، أن تخلق نوعاً من التحاور بواسطة المعلم كذلك، ليتم الاستفادة منها على أكبر مدى ممكن.

5. الوسائل التعليمية، الكتاب السنوي ،1999المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر، 1999 ص:.5

ب. **ومن ناحية أخرى فإن التعليم بوساطة الصورة يسهل الكثير من المهام في التواصل ويجعله متاح أكثر من الكلام وحده، والأكثر من ذلك أن الصورة فعالة في كل المراحل العمرية للتلميذ، وفي كل المراحل التعليمية على شتى المستويات.**

2.1. لمحة تاريخية عن الوسائط التعليمية

رسومات الكهوف:

يعود تواجد الإنسان على هذه الأرض إلى مئات الألوف من السنين، ولقد عاش حياة بدائية متوحشة، معتمداً فيها على مجهوده الذاتي، وما يقوم به من أعمال، بداية من صيد الحيوانات بغرض أكلها، نهاية بما يجمعه من الأشجار من ثمار صالحة للأكل، وفق التدرب على خبراته الحياتية، بعد أن قطع شوطاً زمنياً في التعامل مع الطبيعة، ومعرفتها، لكن هناك حيوانات أخرى أكثر شراسة كانت تداهمه أيضاً وتأكله، كل هذه الحياة بكل صراعاتها، ومخاوفها، كان قد دونها ورسمها على جدران كهوفه، قبل أن يتقدم في حضارة بناء البيوت، وحين دعته الحاجة إلى التدوين بدأ يسجل يومياته وذكرياته على جلود الحيوانات، ومن ضمن الكهوف التي وقع عليها اختيارنا سنتوقف أمام كهوف جبال أكاكوس وتاسيلي الليبية قبل ما يربو على العشرين ألف عام.

يعتقد بعض الدارسين أن الإنسان القديم أراد فقط تزيين جدران الكهوف التي كان يعيش فيها مثلما نفعل اليوم في منازلنا. يرى البعض الآخر من الدارسين أن إنسان الكهف، وبسبب عدم وجود لغة مكتوبة، عمد إلى الرسم ليروي قصصه ومغامراته في الصيد، ولو أنه لم ينجح في صيد تلك الحيوانات لم يرسمها. علماء آخرون يعتقدون أن الإنسان القديم كان يفعل ذلك اعتقادا منه أن رسم الحيوانات على الجدران سيجعل أرواح الحيوانات تأتي إليه حاملة الطعام، أو أن رسوم الكهوف تحمل رسالة إلى الآخرين الذين سيأتون للعيش في تلك الكهوف مستقبلا.

شكل (1) صورة فوتوغرافية، لجبال أكاكوس في ليبيا، "كهف الجنون" حضارة الإنسان الليبي قبل عشرين آلف عام.

شكل (2) رسم بدائي للإنسان الليبي، من داخل كهف الجنون، يمثل أعمال الصيد اليومية، لقبائل الموهيجاج الليبية، يعود لأكثر من عشرة آلاف عام، أكاكوس جنوب غرب ليبيا.

1. 3. الثقافة البصرية:

أن ترى ذلك يعني أن تبصر، وتتبصر، أن ترى وتبصر وتنظر، ذلك يعني أنك تتعلم، أن تتعلم ذلك يعني أن تكتسب خبرات، ترى جَمالاً، فأنت أمام خبرة جمال، ترى قبحاً فأنت أمام خبرة قبح، وبالتالي فأنت تتعلم مما ترى، ثم تتثقف وفق ما تعلمته، وأنت بعد هذه الثقافة، وهذا

التعلم، أو التعليم "حسب رأيينا" بدأت بالضبط تشبع حاجاتك إلى التربية، والتي هي في جوهرها، تربية ذوقية قبل أي شيء آخر، ومتى ما تشبع الفرد بخبرات التربية الذوقية، التي منبعها الثقافة في الأساس، فإنه سيساهم بكل تأكيد في الفعل الحضاري بكل معانيه، ولعل الثقافة البصرية، هي اللغة المكتسبة الأكثر فهماً وتفاهماً بين كل سكان الأرض، وإن اختلفت ألسنتهم، لأن اللغة البصرية دون ريب مفهومة لدى أغلبهم، أكثر من اللغة اللسانية، بقي فقط أن نشير إلى أن هذه الثقافة، إذا لم تكن من خلال ضوابط تعليمية، فإن مخاطرها ستكون أكثر من محاسنها.

والثقافة البصرية إذاً: **(هي كل ما نراه، أو قد رأيناه أو قد نتصوره من خلال: اللوحات الفنية والتماثيل والسينما، والتليفزيون والصور الفوتوغرافية والأثاث والأدوات المنزلية والحدائق والرقص والبنايات والتحف الفنية والمناظر الطبيعية والدمى والإعلانات والمجوهرات والثياب والأضواء والرسوم البيانية والخرائط، وكل جوانب الثقافة التي ترسل وتستقبل عن طريق وسيلة البصر**[6]**).**

وعلى هذا الأساس، وجب التعامل مع هذه الرؤية البصرية وفق هذه المواد المرئية وغيرها مما ذكرنا، من خلال **عوامل إدراكية تنمو مع نمو العقل عبر مراحل الزمن، من الطفولة إلى الشباب إلى الكهولة فالشيخوخة،** ولقد صار لزاماً علينا ومن خلال تعاملنا مع كل هذه العناصر المرئية، **أن ندرب عقولنا عليها ونتعامل معها كوسائط ثقافية أولاً، من خلال تنمية الكفايات الخاصة بحاسة الإبصار، ثم كوسائط يستفيد منها التدريب والتعليم التربوي استفادة قصوى، لما تحتويه في كنهها من دفق معلوماتي تربوي وجمالي في آن.**

فالصورة تتعالق مباشرة بحاسة النظر التي ستنمو إلى حاسة إبصار تعليمية من خلال الرؤية وكذلك من خلال "تكاملها مع خبرات مختلفة يتعامل معها المتعلم عن طريق الحواس الأخرى، **ويقصد بتنمية الكفايات المرتبطة بحاسة الإبصار: المفردات والقوانين التي**

6. عبدالجبار ناصر، ثقافة الصورة في وسائل الإعلام، ص. 69، الدار المصرية اللبنانية 2017

تساعد الفرد على فهم وتفسير الأحداث والرموز والأشياء البصرية التي يتعرض لها في البيئة المحيطة" [7].

1.2. التعلم البصري:

يعرف بأنه منظومة من الكفايات البصرية التي يمتلكها الفرد بواسطة الرؤية، وفي نفس الوقت من خلال دمج وتكامل بعض الخبرات الحسية الأخرى، وتطوير هذه الكفايات يعتبر من أساسيات التعلم الإنساني، وعندما يتم التطور فإن الفرد المتعلم بصريا يمكنه تمييز وتفسير الأحداث، والعناصر والرموز البصرية، حيث يشير مصطلح التعلم البصري إلى جانبين: الأول هو التعلم عبر البصريات المختلفة، أما الجانب الثاني فيتضمن تصميم البصريات التعليمية، ويرتبط هذا الجانب بمصمم البصريات التعليمية، اذ يتوجب عليه أن يطبق نتائج البحوث والنظريات المرتبطة بالمجال البصري عند تصميمه ألي مادة بصرية تعليمية ليضمن فاعليتها [8]

وتشكل الصور والرسومات مواد بصرية تسهم بدرجة كبيرة في تكوين الثقافة البصرية؛ وذلك لأن الإنسان يعيش في هذا العصر ضمن محيط من الصور والرسومات التي تتواجد في كل مكان من حوله، وحتما فإنه يكتسب الثقافة البصرية عند قراءة هذه الصور والرسومات وفهم معناها والتعلم منها ونقلها للآخرين، ومن هنا تتضح أهمية الصور والرسومات في التعلم[9].

2.2. الحاجة إلى التعليم بواسطة الصورة، الوسائل التعليمية الأكثر استخداماً وأنواعها:

مع تعدد الوسائط التعليمية وتطورها، تدعو الحاجة إلى التعليم بواسطة الصورة أن يتحصل الطالب على أكبر قدر ممكن من المعلومات التي تأتي تباعاً من خلال الصورة بمختلف أنواعها، والتي سنعددها هنا وفق أجناسها الفنية أولاً، ثم التقنية ثانياً **مع مراعاة أنه "يجب إعداد الوسيلة الناقلة أو الوسيط، إعدادًا دقيقا لتكون مهيأة لحمل الخبرات و المعلومات المراد نقلها من المرسل إلى المستقبل، وتختلف الوسائط التعليمية بحسب إختلاف المادة المعروضة**

6. سعيد، أحمد وفوزي، ياسر، مكونات الثقافة البصرية كمدخل لتصميم استراتيجية تعليمية لطالب شعبة التثقيف بالفن للتدريب على مهارات البصري، جامعة حلوان.

8. هديل العشران، أثر الصور والرسومات في تنمية الثقافة البصرية، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، يناير 2021،ص. 25

9. الجهني، ليلى تصميم المواد البصرية: تقنيات وتطبيقات. السعودية: العبيكان للنشر.

بغرض التدريس والتدريب، هنا تبرز أهمية انتقاء الوسائط التربوية من الوسط الطبيعي للمتعلم من خلال:

وسائل سمعية بصرية ثابتة ومتحركة، راديو، اسطوانة ممغنطة، شريط تسجيل، أفلام سينمائية وتلفزية، أجهزة عرض، وسائل سمعية بصرية متحركة أفلام متحركة، تلفزيون، المعارض و المتاحف، الرحلات التعليمية الهادفة، النماذج المرئية والمكتوبة، المقاطع المؤفلة المرئية، العينات المشاهدة و التحليل، التمثيل والخبرات العلمية غير المباشرة، الخبرات العلمية المباشرة، ما يعنينا في هذا التصنيف أمران اثنان هما :

1. غلبة الوسائط التي تعتمد على جهاز البصر

2. ترتيب الصورة وفق ما يدل على أهميتها القصوى بالنسبة لبقية العناصر[10]

3.2. أربعة وسائط سنركز اهتمامنا عليها:

أ. الصورة الفوتوغرافية:

يعود اختراع الفوتوغراف، إلى اختراع العدسات من قبل العالم العربي الحسن ابن الهيثم 1040.965م. والذي اشتغل على نظريات الإبصار، والضوء والظل والنور والعتمة، وهو الذي فند كل النظريات العلمية السابقة على عصره بخصوص الضوء، والتي كانت تؤكد بالخطأ على أن الإبصار يتأتى من خلال ضوء يخرج من العين ليسقط على الأجسام لكي نراها، فقام باختراع الصندوق المظلم، كما هو مبين في شكل (3) وثبت في إحدى جوانبه عدسة من اختراعه، وأثبت من خلالها نظرية انعكاس الضوء على الأجسام، لتتم الرؤية. ثم توالت محاولات ليوناردو دافينشي في القرن الثالث عشر، إثر محاكاته للحسن ابن الهيثم في الاختراع، ولم يشر إلى ذلك، حتى تم اكتشاف الصورة عن طريق الأخلاط الكيميائية، عن طريق العالمين الفرنسيين جاكو داقير، ونسفور نيبس الفرنسيين، في القرن الثامن عشر.[11]

10. راجع مثلا، صوفي أبوعلام، توظيف الصورة في العملية التعليمية، جامعة التكوين المتواصل، https://www.asjp.cerist.dz/en/article

11. راجع في هذا الشأن، بحثنا المنشور حول فلسفة الصورة وأقصوصة السينما، مجلة الجامعي ع. 5، 2003، جامعة الفاتح . طرابلس ليبيا.

شكل (3) لوحة تشكيلية، مستوحاة، للعالم العربي الحسن ابن الهيثم، من داخل اختراعه، الغرفة المظلمة اكتشافه لـ نظرية الضوء[12].

وتعرَّف الصورة الفوتوغرافية بأنها: " تمثيل مسطح لواقع مجسم على بعدي الطول والعرض، وتحاول ترجمة خمسة محاور في الأصل هي: الطول والعرض والعمق والتأثيرات البيئية والحركة خلال الزمن، والتي ستكون ضرورية جداً كوسيط تعليمي مهم يمثل حافزاً للإدراك والفهم والاستعاب، ومادة تعليمية مشوقة وخادمة للتربية والتعليم والثقافة ومحفزة على استيعاب الجمال والتعامل معه وفهمه بأكمل وجه[13].

ومما سبق، ستوضح لنا هذه الصورة الفوتوغرافية المختارة **شكل (4)** بالأبيض والأسود، مدى التعاضد والتضامن الذي يخلقه المنظر العام لها مع محتواها، شقيقان ربما، أو رفيقان، ولد وبنت يلعبان بالماء، صورة مشحونة بنائياً، بالمعنى والمغزى، وقد لا تحتاج إلى شرح، لكنها تمثل نوع من السعادة في أكمل أشكاله، سعادة اللعب وفق كل الظروف الحياتية، إضافة إلى أنها صورة رغم ثباتها توحي بالحركة الكاملة، والحياة الكاملة والنشاط والفاعلية في شكلها ومضمونها، دال واضح غير مشفر، ومدلول ذا معنى جمالي عميق للأمل والبهجة والإنسانية.

12. بخصوص بحوث ابن الهيثم، سيرته وإنجازاته، ومصدر الصورة المقتنية في هذا البحث، راجع: https://ab7as.net/

13. محمد نبهان، التصوير والحياة، عالم المعرفة، 1984، ص. 6

شكل (4) صورة فوتوغرافية بعين، متكاملة التكوين والحركة والأبعاد وعمق المجال

4.2. ب. الصورة الرقمية الدجتالية

تعتبر الصورة الرقمية، الأكثر شيوعاً في وسائط التعليم المعاصرة، وقد بدأ الاهتمام بها مع بدايات قرننا الحالي، وهي الوسيلة الأكثر أهمية بين كل الوسائل الحديثة في التعليم، لما لها من خصائص توضيحية دقيقة وذات فائدة كبيرة، **وتعرف الصورة الرقمية على أنها: "صور مولدة من خلال الحاسب الآلي والكاميرا الرقمية أو على الأقل معززة بهما. ويتم التعامل معها ومعالجتها وتخزينها وتحميلها أو تنزيلها على الحاسب الآلي أو على الإنترنت أو غيرهما من الوسائط البصرية، ولعل الشكل (5) لهذه الصورة الرقمية يعد مثالاً واضحاً على ماهية الصورة الرقمية وكيف تشتغل.**

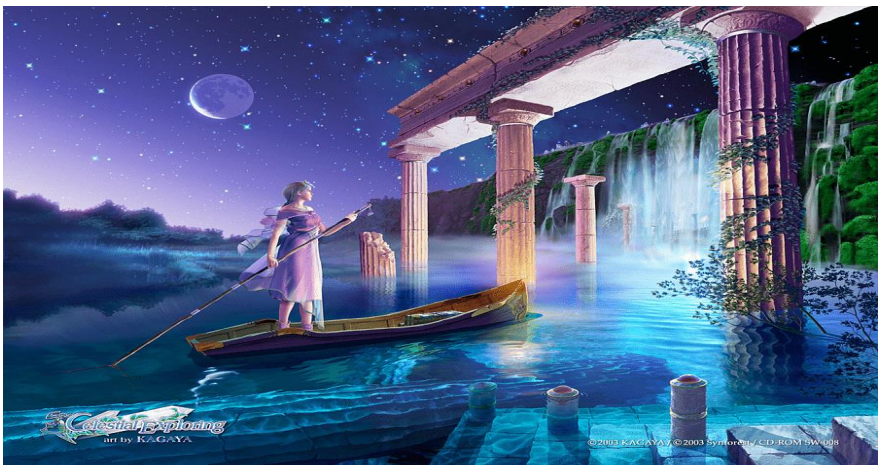

شكل (5) صورة رقمية تبين وبوضوح هائل، التداخلات التكوينية، والأبعاد الثلاثة.

كما يمكن الحصول على الصور الرقمية بطريقتين:

أ. استخدام برامج الرسومات، وعادة يستخدمها المصممون لإعداد الرسومات المختلفة التي تتوافق مع حاجاتهم ومن هذه البرمجيات (*بينت* شوب برو، الفوتوشوب).

ب. الصور التي تضاف من مصادر خارجية سواء باستخدام الماسح الضوئي (Scanner) أو من خلال الكاميرات الرقمية [14]. (Digital Camera)

وتوظف الشركات الرأسمالية الصورة بطريقة مذهلة في الدعاية على وجه الخصوص، من كافة جوانبها النفسية العميقة التي تؤثر في الذاكرة الجمعية للمستهلك، وكذا من الناحية الإستراتيجية للشركة وتضاعف أرباحها بشكل مطرد وسريع جداً، ولعل هذا المثال الموجود في الشكل (6) للتفاحة المقضومة، خير مثال لعلامة شركة Apple آبيل، أو الماكنتوش.

شكل (6) صورة رقمية تمثل شعار شركة "أبل مانكيتوش" للإليكترونيات، وخاصة الحاسبات.

إن تركيز الشركات الاستهلاكية الرأسمالية في إعلاناتها لا يكون على المنتج بقدر ما يكون على **علامة أو شعار المنتج. هذه الشركة**، بالتأكيد، لم تختر هذا الشعار اعتباطا، فما علاقة التفاحة بمنتجات الشركة؟ وما هي الغاية من وضع هذا الشعار؟ إضافة إلى أن التفاحة تحمل أثر قضمة؟

نرى كثيرا مثل هذه العلامات في حياتنا اليومية، لكننا قليلا ما نفكر فيها، ومنها هذه العلامة التجارية تصوير تفاحة مقضومة على الأجهزة يبدو منسجما مع اسمها، لكن المعنى يدركه من لا

13. الزهراني، رجاء عيضه احمد. (2012م)."مقرر تصميم وإنتاج المواد التعليمية الإلكترونية". بالإمكان البحث عنه على الرابط http://ta3leem.alafdal.net/n4-news

يغيب عن أذهانهم قصة آدم وحواء، وإبليس، وأكل الفاكهة المحرمة – التفاح – من شجرة المعرفة، كما في الديانة المسيحية، والإسلامية كذلك. من هنا فإن شركة أبل ماكنتوش بطريقتها، تريد أن **تبين لنا أن أجهزة الحاسوب هي شجرة المعرفة، وباستخدام أجهزة أبل ماكنتوش، سنكون أكثر معرفة من دون أن نرتكب معصية** [15].

5.2. اللوحة التشكيلية:

اللوحة التشكيلية، إطار يحمل صياغة الفنان لأشياء يتصورها وهو يقوم بتركيبها تركيبا فنيا يمنحها ملمحا جماليا ودلاليا يستدعي التأمل والتساؤل[16].

ومن هنا فهي الوسيط الأمثل لنقل الصيغ التصويرية الجمالية التي تدور بأحاسيس الفنان وخياله، وإن اختلفت المدارس والتيارات الفنية التي درست، ومازالت تدرس الفن بكافة حقوله، رسم، تشكيل، نحت، مسرح، مايم وبانتومايم، موسيقى سينما، وما إليها من تخصصات الفنون. وتعتبر وسيط مباشر، ناقل للعلوم، بكافة تخصصات الفنون، وكذلك المجالات الإعلامية، وكافة المجالات التعليمية الأخرى، وكذالك التاريخ، وكافة متطلبات الثقافة.

شكل (7) لوحة الغرانايكا *Guernica* للفنان العالمي الإسباني بيكاسو، 1937، عن أهوال الحرب الأهلية الإسبانية بمعاونة كل من ألمانيا وإيطاليا، وقد لفتت انتباه العالم لها للوقاية من الحرب وشرورها، تعد اللوحة الأشهر لبيكاسو.

15. قصص-من-عالم-التقنية – تصميم -شعار-آبل . www.aljazeera.net/news/scienceandtechnology/2021/10/24

16 . راجع مثلاً، الحسن ملواني، اللوحة التشكيلية، لغة الخطاب البصري وسؤال التواصل، https://www.alquds.co.uk

فاللوحة التشكيلية لغة بصرية عظيمة الفائدة، ويجب تعلمها، والتدريب عليها، خصوصاً وأنها تحمل في طياتها لغة عالمية يمكن أن تفسر وتناقش وتنتقد وفق معايير خطابات نقدية تحمل لغة عالمية فهي ليست قاصرة على فئة محددة من الناس، بقدر ما أن محتواها بالإمكان تحسسه من خلال تفاعله الروحي والنفسي لدى جميع الناس بلا استثناء.

"فاستيعاب فحوى اللوحات أمر ينبغي تعلمه والتدرب عليه، كما نتدرب على قراءة الفنون الشعرية والسردية والموسيقية والدرامية، فإذا لم تخصص البرامج الدراسية جانبا للفنون، وإذا لم تخصص القنوات التلفزية برامج تفيد في هذا المضمار، وما لم تتبلور طريقة إقامة المعارض والمهرجانات التي تخلو من ندوات تطعم تواصلنا مع المعروض من اللوحات المختلفة المشارب، فإن اللوحة ستظل جسما غريبا ونافلة لا موقع لها بين أكثر المشاهدين لها" [17]. خصوصاً لقدرة الفنون في مجال التربية والتعليم، على إراحة النفس ومتعتها، واتزانها، أثناء التفاعل والتعاطي البصري للفن، بكافة مجالاته، ومثلما تؤثر الموسيقى التربوية على مساعدة الأطفال والشباب، من الناحية النفسية، تؤثر كذلك اللوحة التشكيلية أثناء الاقتراب منها وقراءتها والتعامل معها، وسنرى في هذا المثال، مدى تأثير اللوحة التشكيلية، والانطباع الذي تتركه في الذاكرة أثناء تحليلها وفهم مغزاها:

6.2. اللوحة التشكيلية العالمية، هذا ليس غليوناً:

لوحة تشكيلية من أعمال الفنان السريالي البلجيكي "رينيه مارغريت" (1898 – 1967) الذي اشتهر برسمه الأشياء في سياق غير مألوف ليعطي معنى جديدا لأشياء مألوفة، وأنجز سلسلة من هذه الأعمال أطلق عليها "خيانة الصور[18]".

شكل (8) هذا ليس غليوناً، رينيه مارغريت، إيهام اللوحة التشكيلية بالواقع، فيما هي ليست كذلك وإن تطابقت معه

17. الحسن ملواني، ن.م ن.ص

18. حول لوحة الفنان الشهير رينيه مارغريت، راجع مثلاً: theartmyth.wordpress.com

يقول مارغريت عن رسمه هذا: "طبعا هذا ليس بغليون. هل يمكنك أن تملأه بالتبغ؟ كلا، إنه مجرد تمثيل. لو أني كتبت على رسمي (هذا غليون) أكون قد كذبت".

1.3. وظائف العملية التعليمية بواسطة الصورة:

1. التشجيع المستمر على الملاحظة والتطبيق، وذلك من خلال تحفيز الطلاب على العمليات البيداغوجية، التربوية، عن طريق التعامل مع الصورة.

2. معرفة مستويات نقلها للمعلومة، ومستويات التعبير التي تحتويها، من خلال عمليات سلسة من التدريب على الانتقالات من الأشياء المجردة إلى الأشياء المحسوسة،

3. يقوم المدرب بالتشجيع على الفحص والتحليل بشكل مستقل ومسؤول، من خلال تقويم الأخطاء بطرق تطبيقية لبقة، لذا ولتحقيق كل **ذلك:** " **يجب إعداد الوسيلة الناقلة أو الصلة إعدادا دقيقا لتكون مهيأة لحمل الخبرات و المعلومات المراد نقلها من المرسل إلى المستقبل**"[19].

2.3. السيميائية والصورة:

يرتكز مفهوم المنهج السيميائي أو (علم العلامات) على أن الصور ضرورة أن تكون خاضعة لمجموعة من العلامات والإشارات، والإحالات، يقوم المشاهد بربطها من خلال إدراكه لها وفهمه لمحتواها وبالتالي، فهم مبناها، ومعناها ومغزاها، **فما هي السيميائية؟**

هنالك تعريف أساسي للسيميائية: على إنها **علم** "**دراسة العلامات**" أو **السيميولوجيا**، كما أطلقها فيرديناننند دوسوسير، لكنها لا تقتصر على العلامات فقط، كما سنرى لاحقا، وإنما تتعلق بأي شيء يمثل شيئا آخر، كما في الصور أو الأيقونات، هذا نستنتجه من تعريفات كبار الباحثين في هذا المجال. ويرى الروائي واللغوي والباحث "أمبرتو ايكو" أن السيميائية (السيميولوجيا) هي المجال الذي يهتم بكل شيء يمكن اعتباره علامة. أما الفيلسوف والسيميائي "تشارلس بيرس" (1903 – 1979) فيضع تعريفا مختزلا لتعريف سوسير، لأنه يسميها (السيميوطيقا) بدل السيميولوجيا التي جاءت عند سوسير، مع تحوير طفيف في المعنى، [20]

19. محمد وطاس، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة، و في تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر، 1988 ، ص: 4

20. راجع مثلاً البحث المهم جداً للسيميائية، لـ سعيد بن كراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، ص9

وبالتالي فالعلامات، في هذا العلم، تأخذ شكل كلمات و صور ومحتويات، وأصوات و إشارات وإيماءات. أنصار هذه المدرسة المعاصرون لا يدرسون العلامات منفصلة، بل كجزء من "نظام العلامات" (وسيط لنقل الرسالة بما تحمله من معنى). إنهم يدرسون كيف تصنع المعاني وكيف يتمثل الواقع. وظهرت نظريات الرموز والعلامات في تاريخ الفلسفة منذ الأزمنة البعيدة، كفرع من الفلسفة، فظهرت أفكار عن السيميولوجيا لأول مرة في كتابات الفيلسوف "جون لوك" (1690)، لكن تبلورها تم فيما بعد على ضوء تقاليدها اللغوية الرئيسية، في كتابات اثنين من أهم روادها: السويسري فرديناند دي سوسير (1857 – 1913)، والفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرز بيرس" (1839 – 1914) كما أسلفنا. يقول سوسير في كتابه الذي نشر لأول مرة عام 1916، أي بعد وفاته بثلاث سنوات، معلنا عنها كعلم: "من الممكن تصور علم يدرس دور العلامات كجزء من الحياة الاجتماعية، وستشكل جزءاً من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي من علم النفس كله، وسنطلق عليها "السيميولوجيا".[21]

3.3. نماذج سيميائية صور و(كادرات) الفيلم السينمائي:

3.3. 1 . الفوتوغراما كوسيط فني، تربوي وتعليمي:

الفوتوغراما Il fotogramma، اصطلاح يشير إلى الشريحة الفيلمية الواحدة (الصورة الواحدة) المستقطعة من اللقطة السينمائية، ولقد أخذناها هنا في بحثنا، لتكون خلية تأسيسية لتحليل الصورة، خصوصاً وإن الفيلم السينمائي، إنما هو عبارة عن شريط ممتلئ بالكادرات أو الفوتوغرامات، تدور داخل آلة التصوير أو آلة العرض، بعدد 24 كادر أو فوتوغراما في الثانية الواحدة، لكي ترينا أن اللقطة السينمائية تتحرك وفق الحركة الطبيعية للناس أو أي شيء يتحرك، وعلى هذا الأساس قام الباحث باختيار هذه الخلايا أو الكادرات، لتكون موضوع تربوي مهم وتعليمي على علم العلامات في الصورة الفيلمية، يمكن الطلاب ودارسي السينما من مفاهيم عدة لسيمياء الصورة، ويمنحهم قدرة على فك شيفراتها، وكل التعقيدات التي تحتويها اللقطات المرموزة، أو المعقدة.

21بنكراد، نفس المرجع ص.10.

ويشرح رولان بارث معتمداً على التحليل السيميائي لمجموعة من اللقطات في الفيلم الروسي، المدرعة بوتامكين، 1923 وهو وفق رؤية نقاد السينما الفيلم الأكثر إبهاراً في تاريخ السينما بأسرها، والذي يحكي عن قصة الثورة البلشفية، 1917، وأهم قادتها وأقطابها وملهميها ومفكريها، مشيراً بالتحديد إلى فاكولينكوك، أحد القادة الكبار في الثورة البلشفية، ثم الترميز للثورة في محتوى ضاهر ومخفي مغزى عميق للرموز.

شكل (6) مجموعة كادرات سينمائية لفيلم المدرعة بوتمكين

3.3. 2. المغزى الواضح .Il senso ovvio

يخصص رولان بارث في بحثه المعنون بـ **(المغزى الثالث)**[22] ثلاثة من الصور أو الكادرات (فوتوجراما) مستقطعات من فيلم المدرعة بوتامكين، للمخرج سيرجي إيزينشتين، الشخصيات الأربعة في الصورة (1) << يرمزون>> إلى ثلاثة أطوار من الحياة، **الإجماع على الحزن في (جنازة فاكولينكوك) 2. قبضة اليد المغلقة في الصورة (2)** في لقطة قريبة جداً، والتي تحيل إلى، أو تعبر عن **السخط والنقمة والاستياء، الغضب المقتصد** المشتق من شبكة قنوات، التصميم على الصراع والنضال؛ متحدة كلها بشكل **كِنيوي مجازي** في كل قصة بوتامكين التي ترمز إلى **الطبقة العمالية، وسلطتها وقدرتها وإرادتها**، باعتبارها معجزة العقل الدلالية (السيمانطيقية)، هذه القبضة، وإذا ما رأيناها بالوجهة المعاكسة نجدها تتمسك بثبات من قبل حاملها لتوحي بشيء من السرية **(فهي اليد التي تنسدل في**

22. راجع بهذا الصدد، رولان بارث، المغزى الثالث، مجلة الفنون والإعلام، العدد العاشر طرابلس 2010، ص 298، ترجمة وتقديم، د. نورالدين محمود سعيد.

بادئ الأمر على طول البنطال، ومن ثم تنقبض، وتتصلب، تتبصّر بشكل معاصر عبر معركتها المستقبلية، جلدها وحصافتها)، وهنا لا ينبغي لها أن تكون قد فسرت كقبضة لأحد المشاكسين التافهين، الميّالين للخصام من أجل الخصام، أو بالأحرى أحد الفاشستيين. إنها بالضبط ممثلة كقبضة أحد البروليتاريين، فيما تعبر صورة السيدتان في الأسفل على الحزن العميق والروع والبكاء بكتم الغصة، خصوصاً في وضعية أيدي كل منهما، كما هو مبين في شكل 6.

ومن هنا فإن بارث اجتهد بأفكاره السيميائية في العلامات في كافة حقول الفن، وقد ألهمته السينما أكثر من غيرها على تحديد علامات مخفية في ما هو مرئي، فكان له، في رأيينا، سبق اكتشافها، لأنها اختلفت وباقي الآراء التي سبقتها، لقد غاص في معاني الصورة مستنتجاً كنهها من خلال دفقها للمعاني، وامتلاءها باللغة الأيقونية، وإحالتها إلى ظواهر غير مكتشفة.

4. 1. الإحالات، والمصادر والمراجع:

1. سارة الصاوي، سلطة الصورة في وسائل الإعلام، راجع https://eipss-eg.org

2. الوسائل التعليمية، الكتاب السنوي ،1999المركز الوطني للوثائق التربوية، الجزائر، 1999.

4. عبدالجبار ناصر ثقافة الصورة في وسائل الإعلام، الدار المصرية اللبنانية 2017.

5. سعيد، أحمد وفوزي، ياسر، مكونات الثقافة البصرية كمدخل لتصميم استراتيجية تعليمية لطالب شعبة التثقيف بالفن للتدريب على مهارات البصري، جامعة حلوان.

6. هديل العشران، أثر الصور والرسومات في تنمية الثقافة البصرية، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، يناير 2021.

7. الجهني، ليلى تصميم المواد البصرية: تقنيات وتطبيقات. السعودية: العبيكان للنشر.

8. صوفي أبوعلام، توظيف الصورة في العملية التعليمية، جامعة التكوين المتواصل، https://www.asjp.cerist.dz/en/article

9 . د. نورالدين محمود سعيد، عن فلسفة الصورة وأقصوصة السينما، مجلة الجامعي ع. 5، 2003، جامعة الفاتح . طرابلس ليبيا.

10. بخصوص بحوث ابن الهيثم سيرته وإنجازاته، ومصدر الصورة المقتنية في هذا البحث، راجع: https://ab7as.net/

11. محمد نبهان، التصوير والحياة، عالم المعرفة، الكويت، 1984.

12. الزهراني، رجاء عيضه احمد. (2012م)."مقرر تصميم وإنتاج المواد التعليمية الإلكترونية" : http://ta3leem.alafdal.net/n4-news

13. قصص من عالم-التقنية - تصميم شعارآبل :
www.aljazeera.net/news/scienceandtechnology/2021/10/24

14. راجع مثلاً، الحسن ملواني، اللوحة التشكيلية، لغة الخطاب البصري وسؤال التواصل، https://www.alquds.co.uk

15. لوحة الفنان الشهير رينيه مارغريت: theartmyth.wordpress.com

16. محمد وطاس، أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة، و في تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر، 1988.

17. سعيد بن كراد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار.

18. رولان بارث، المغزى الثالث، مجلة الفنون والإعلام، العدد العاشر طرابلس 2010، ترجمة وتقديم، د. نورالدين محمود سعيد.